جسر متصل بين الشعوب

تعد الثقافة الشعبية في كل منطقة من العالم برغم تنوعها وثرائها نوعاً من الجسر الثقافي بين الشعوب، فما من حكاية شعبية او اسطورة لم تتداولها مختلف الامم والشعوب بأساليب مختلفة ولكنها تنتمي الى اصل واحد يدعو اما الى تحليل وتفسير الظواهر الطبيعية او يحلل قضية شائكة او يدعو للحكمة والمعرفة. وما من صناعة شعبية في وطن لا تجد صداها في اماكن وبقاع اخرى شرط التوافق المناخي والطبيعي لهذه الاماكن، وما من مثل شعبي في بلد لا تجد مشابها له في المعنى لا في اللفظ في مكان آخر.

ان هذا الجسر المتنوع التفاصيل والبنيان قد اوصل العالم الى نوع من الالفة في بناء المخيال الشعبي لكن وجود الطغاة ومستوري كراسي الحكم والعقول المريضة التي لا تريد للعالم الهدوء قد اوجد تلك الصراعات في المصالح والنوازع اللااخلاقية في طريق الاستئثار الفردي او الجماعي وغزو الآخر والعدوان عليه والتفوق غير المبرر على الشعوب الاخرى وقد زرع الطغاة الفتنة بين الناس وكسروا اجزاء من هذا الجسر الثقافي الشعبي الذي يسعى العلماء والادباء والباحثون ودارسو العلوم الانسانية الى ترميمه واعادة بنائه من جديد بمختلف السبل للوصول الى حالة من التوافق الانساني تكفلها الثقافة الشعبية وتعاون الشعوب فيما بينها بدلاً من الحروب والنزاعات التي تسلب بعض الشعوب حقوقها وتكسر مخيالها الشعبي وتضعف نوازع الخير فيها وتخلق حالة من العداء نحو الآخر كردفعل على مظالم تحدث.

ان بناء ثقافة شعبية في بلد هو سعي نحو الخير والمحبة وصولاً الى بناء ثقافة شعبية عالمية تؤمن بخير الانسان وسعادته وتسعى اليها.

المحرر

مركز ابحاث الاهوار

حيدر عبد الخضر

في صفحة (ثقافة شعبية) نشرت جريدة المدى وفي العدد (70) الصادر بتاريخ (10/آذار/2004) عموداً بقلم محرر الصفحة جاء تحت عنوان (مركز الدراسات الشعبية في الاهوار) وفي هذا الجانب اود ان اورد هنا بعض الاشارات التي تتعلق بالموضوع الذي ناقشه كاتب العمود... في البدء لا اريد الخوض في تفاصيل تاريخية تتعلق بنشوء وتكون الاهوار بل انني سأمر على هذا الموضوع مروراً سريعاً.. يعود تكون هذه المنطقة الى الالف الرابع قبل الميلاد اذ تكونت في منخفض (جيو سكلاين) الذي اختلف العلماء في تفسيره فمنهم من يرجعه الى اغمار الطبقة المنخفضة بمياه البحر العظيم (تيثس) الذي كان يغطي القسم الاوسط والجنوب من العراق اثناء المد والجزر، في حين ذهب آخرون الى ابعد من ذلك اذ يرى هؤلاء ان سبب تكون منخفض الاهوار هو الالتواءات التي حدثت في الارض مما سببت هبوط المنطقة وخسوفها وهناك رأي آخر يرى ان تكون الاهوار جاء نتيجة الفيضانات واحداث الثقوب فشكلت بذلك بيئة طبيعية بجميع عناصرها واخذت طابعاً خاصاً انعكس حتى على من استوطن هذه المنطقة اذ يذكر ان السومريين قد استوطنوا هذه المنطقة وهنالك ادلة تاريخية تشير الى هذا الاستيطان تمثل بالجزر (ايشان) وهي كلمة سومرية تعني التل وما التلال الا مدن مندرسة قد شيدت بالطابوق الكلداني اذ استوطن السومريون جنوب العراق في حدود الالف الخامس (ق.م) وقد وفرت لهم البيئة الطبيعية للاهوار الحماية من اعتداءات سكان الصحراء، فضلاً عن الامكانية الطبيعية اللازمة لادامة الحياة حيث التربة الخصبة والمناخ المعتدل والمياه الوفيرة والثروة الحيوانية التي ساعدت على الاستيطان وبناء اقدم الحضارات المزدهرة في وقتها والتي لا زالت آثارها شاخصة حتى الآن.. لقد تعرضت هذه المنطقة في عهد النظام السابق الى ابشع عمليات التخريب والتشويه حيث ان حرب التجفيف الواسعة التي قام بها النظام عملت على الحاق اضرار مادية ومعنوية كبيرة مما انعكس بصورة او بأخرى على الموارد البشرية والطبيعية، وبالتالي فان هذه المنطقة تحتاج في الوقت الحاضر الى اهتمام متزايد للانتقال بها الى مستوى افضل ويتضمن هذا الاهتمام وضع دراسات في جميع الجوانب المتعلقة سواء بالسكان او الموارد المائية او مشكلات الغذاء والتلوث البيئي وتنمية الثروة الحيوانية وهجرة الطيور والزراعة السائدة وعلاقة الاهوار بالثروة النفطية والمستوى المعاشي المرتبط بحياة ابناء هذه المحافظات الجنوبية (ذي قار. البصرة. ميسان) لخلق فرص عمل لهم مما ينعكس على الدخل الذي يؤدي الى انتعاش المنطقة وبالتالي الحد من الهجرة الى المدن المجاورة.. لذا وضمن هذا السياق فقد تكونت لجنة لانشاء مركز ابحاث الاهوار وهي مبادرة قامت بها جامعة ذي قار متمثلة بالسيد رئيس الجامعة واساتذة متخصصين في مجالات (التاريخ، اللغة العربية، اللغة الانكليزية، علوم الحياة، الجغرافية، الاجتماع). وقد تم التنسيق بين هذه اللجنة ومنظمة عمار الانسانية لتبني هذا المشروع الحضاري والتاريخي المهم.. لذا فان هذا المشروع يهدف الى دراسة الاهوار من النواحي البيئية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والادبية.. لان موروثات وقيم الادب والفن والعادات والتقاليد تشكل نواة مهمة في انجاح هذا المشروع في سبيل الوصول الى تصور كامل عن طبيعة وخصوصية هذه المنطقة.. كما ان المركز سيضم الاقسام العلمية التالية (قسم الدراسات التاريخية والجغرافية. قسم الاحياء المائية. قسم التربة والمياه. قسم البيئة والتلوث. قسم الدراسات الاجتماعية. قسم الدراسات العامة).. فالشكر الجزيل لكاتب العمود الذي اثار مثل الموضوع ونحن على اعتاب مرحلة جديدة نتمنى فيها ان يعاد النظر بعمق وحرص شديدين في كل المواضيع التي تشكل قيمة واهمية وتنبغي مناقشتها بدقة وموضوعية لنسهم جميعاً في اعادة ترميم كل ما طالته الممارسات الغبية واللامسؤولية للنظام السابق واعادة الاعتبار الى كل القيم والمفاهيم التي مورست ضدها سياسات التغييب والتهميش والمصادرة وهذه المسؤولية يجب ان نتقاسمها جميعنا لاننا نحن ابناء هذا البلد ونحن اقرب الى قيمه وعاداته وتقاليده التي ترسخت عبر قرون اثبت فيها العراقيون قدرتهم على تجاوز الانكسارات والتحديات الكبيرة والاسهام الفاعل والمؤثر في بناء الوعي الانساني وتعزيز المرتكزات الثقافية والاجتماعية والتاريخية مما يجسد الانتماء الحقيقي للمضامين والاهداف العظيمة التي وجد الانسان من اجلها والتي اصبح في ضوئها اشرف الخلق والموجودات...

المقام العراقي حقائق وطرائف

عبد الغفور النعمة

المقام العراقي ركن مهم من اركان الموسيقى العربية الكلاسيكية التي تشمل الموشحات والموالات والنوبة والبشارف والتقاسيم والسماعيات والتحميلات والاصوات، والاصل في معنى كلمة المقام موضع القدم، او محل الاقامة، كما يعني المحل العالي الذي يقف عليه الشاعر عندما يلقي شعره، والمغني عندما يغني للناس، واطلقت كلمة مقام ايضاً على الخطب كمقامات الحريري ودخلت كلمة المقام ميدان الموسيقى فاطلقت على ما يغنيه المغني.

محمد القبنجي

شعوبي ابراهيم

هاشم رجب

ومما يقوله الاستاذ سليم الحلو في كتابه (الموسيقى النظرية) ان المقام عبارة عن مجموعة نغمات (اصوات) مرتبة بعضها فوق بعض بالترقي درجة فدرجة، ويقابله عند الافرنج (توناليت) او (كام)، نستطيع ان نقول ان كلمة (كام) الاوروبية هذه قد اخذت من كلمة (مقام) مع تحريف بسيط ادى الى تحويل حرف القاف الى كاف لعدم وجوده في اللغات الاوروبية، وحذف حرف الميم اول الكلمة، وكان قطب بن مسعود بن مصلح الشيرازي هو اول من ذكر اسم المقام، وذلك في كتابه (درة التاج لغرة الديباج)، اذ كان المقام من قبله يسمى (الطريقة) او (الدور) او (الشد)، بينما كانت الانغام تسمى (دساتين او اصابع او تجانيس).

لا يعود تاريخ المقام العراقي الى العصر العباسي كما يظن البعض، لان المقامات العراقية مقامات تخص الغناء، في الوقت الذي كانت فيه المقامات في العصر العباسي مقامات تخص الموسيقى، واجناس موسيقى العصر العباسي مؤلفة من ثماني نغمات بينما اجناس المقام العراقي لا ترقى إلا الى ست نغمات، ونادراً الى سبع نغمات، وليس هنالك اي ذكر للمقام العراقي في كتب الموسيقى التي الفت في العصر العباسي. هذا عن تاريخ نشأة المقام العراقي، واما عن موطنه فهو لم يوجد الا في العراق فقط، لان المقامات في البلاد العربية مثلها مثل المقامات في العصر العباسي موسيقية وغير غنائية كالمقامات العراقية، والمقامات في البلاد غير العربية المجاورة للعراق وان تشابهت اسماء بعضها باسماء بعض مقاماتنا إلا انها تختلف في اركانها (التحرير او البدوة، الجلسة، القرار، القطع والاوصال، التسلوم) وحتى في طريقة الاداء. ولا توجد المقامات العراقية إلا في بغداد والموصل، وتختلف مقامات بغداد عن مقامات الموصل من ناحية اركان المقام التي سبق ان ذكرناها. واذا ما وجدت المقامات في بقية مدن العراق فهي تغنى من قبل قراء مقام اصلهم من بغداد او الموصل، او من قبل قراء مقام تعلموها في بغداد والموصل. واما المقامات التي يغنيها الاكراد في شمال العراق فهي تختلف في كثير من اركانها عن المقامات العراقية وان تشابهت اسماؤها مع اسماء بعض المقامات العراقية.

والمقامات العراقية الاصلية التي تتفرع منها باقي المقامات هي سبعة: (الرست، والبيات، والسيكاه، والصبا، والعجم، والنوى والحجاز) وتحتوي المقامات الاربعة الاولى على ربع الدرجة او ربع الصوت الذي دعا بعض الموسيقيين والنقاد لالغائه من موسيقانا، لانه على حد قولهم، هو السبب في تخلف موسيقانا ويقف عائقاً في وجه تطورها كما تطورت الموسيقى العالمية. وبسبب ربع الدرجة في هذه المقامات الاربعة لا يمكن عزفها على الآلات الغربية لان هذه الآلات لا تحتوي على الربع. ويتفرع من هذه المقامات الاصلية (53) مقاماً، يغنى (33) منها بالشعر الفصيح، بينما يغنى (20) منها بالشعر الزهيري الذي يسمى ايضاً بالموال البغدادي، وسمي الزهيري بهذا الاسم نسبة الى (الملا جادر الزهيري) الذي نظم فيه كثيراً. ويتكون الزهيري من سبعة ابيات، الثلاثة الاولى تنتهي بكلمة واحدة تختلف بالمعنى، والثلاثة الثانية تنتهي بكلمة واحدة ايضاً تختلف بالمعنى وهذا ما يسمى في البلاغة العربية (جناس) والبيت السابع ينتهي بكلمة من جناس كلمة الابيات الثلاثة الاولى، مثل:

"اسمر جميع الخلك حبتك مو بسنة
(ليس أنا فقط)
وجهك شبيه البدر يوضي ويشع بالسنه (الضياء)
تمنه رؤياك زور متيمك بالسنه
(في الحلم عند النوم)
يرتاح كلب المعنى المبتلي بالسمر
(اللون الاسمر)
كف التجافي او اصلني وعلي بسمر
(تعال فقط)
كلما تريده الك يجر الك وبسمر
(آمر فقط)
ارضه الوليفك ولو مره تمر بالسنة"
(كل سنة)

ولقد اثيرت ضجة كبيرة حول مقام اللامي، حيث ادعى البعض ان الاستاذ محمد القبنجي هو الذي ابتكره، بينما يرى البعض، ومنهم المرحوم الحاج هاشم الرجب، ان هذا المقام عباسي، واما انا شخصياً فارى ان كلا الرأيين خطأ، لان المقامات العراقية، كما سبق ان قلنا كانت غير موجودة في العصر العباسي، اذاً فهذا المقام ليس بعباسي، ولو ان الاستاذ القبنجي هو الذي ابتكره او اوجده لسمي المقام باسمه (القبنجي) ولكنه سمي (اللامي) مما يدل على انه منسوب الى عشيرة (بني لام) المعروفة في العراق، خصوصاً ان مقام اللامي كما يقول الحاج هاشم الرجب في كتابه (المقام العراقي) قد طور من الابوذية، كما ان بعض المقامات قد سميت باسماء العشائر التي عرفت عنها مقامي المنبات والجبوري.

وتقسم المقامات العراقية الى نوعين، مقامات مقيدة وهي المقامات التي يجب ان تؤدى كل اركانها وقطعها واوصالها حسب تسلسلها مثل مقامي الابراهيمي والنوى، ومقامات مطلقة وهي المقامات التي لا يلزم المطرب بتأدية اركانها وقطعها اوصالها حسب تسلسها وفي الحقيقة هذه المقامات لا تسلسل لها. هذا كما تقسم المقامات الى ثلاثة اقسام من ناحية موسيقاها، القسم الاول منها يصاحب الايقاع موسيقاها مثل الاورفة والدشت والحسيني، والقسم الثاني منها لا يصاحب الايقاع موسيقاها مثل الارواح والاوج والمهماون، والقسم الثالث منها يصاحب الايقاع موسيقاها في بعض اركانها ولا يصاحبها في اركانها الاخرى مثل مقامات الصبا والرست والحجاز ديوان.

وبالرغم من ان المقامات العراقية ذات اصول مختلفة وذلك بحكم سيطرة قوميات مختلفة على الحكم في العراق بعد سقوط الدولة العباسية. فبجانب المقامات العربية مثل الصبا هناك مقامات فارسية مثل مقام السيكاه، ومقامات تركية مثل مقام الاورفه، ومقامات هندية مثل الرست الهندي، إلا ان هذه المقامات الاجنبية قد طورت من قبل المغنين العراقيين، فاصبحت تختلف عن اصولها الاجنبية. ومن هنا ايضاً نجد ان هناك العديد من الكلمات الاعجمية التي دخلت المقامات العراقية، واصبحت لازمة في تأديتها، وان حاول بعض المغنين والمهتمين بشؤون المقام عندنا ان يعربوا هذه الكلمات، ومنهم الاستاذ الحاج هاشم الرجب الذي حذف الكلمات الاعجمية من مقام الرست الذي غناه من اذاعة بغداد سنة 1959 بقصيدة علي بن الجهم (عيون المها بين الرصافة والجسر). ومن هذه الكلمات الاعجمية التي ابتلت بها المقامات العراقية كلمة (دلي) اي قلب، وتراكيبها مثل (دلي من) اي قلبي، و(دلي يالدم) اي احترق قلبي، و(نحل دلم) اي قلبي باي حال، ومحبة دارم (احبكم)، و(امان) و(امانم) للشكوى والتذمر.

واما عن اسماء المقامات فقد سمي بعضها بالنظر للنسبة والمستقر مثل مقام الحسيني، وبعضها للمستقر فقط مثل مقام السيكاه، وبعضها بالنظر للنسبة فقط مثل مقام المدمي، وبعضها بالنسبة لاسم المدينة التي سمع المقام من اهلها مثل مقامي الاورفة والبهيرزاوي والنهاوند والحويزاوي، وبعضها بالنسبة لاسم القبيلة التي سمع عنها مثل مقام المنبيلت واللامي (بني لام) وبعضها بالنسبة للآلات الموسيقية مثل مقام المنصوري وهو اسم احد النايات، وبعضها بالنسبة لاسماء المغنين الذين ابتكروها او اشتهروا باجادة تأديتها مثل مقام الابراهيمي والحمودي وطاهر وسعيدي، وبعضها بالنسبة لاسماء عوائل مثل مقام الحكيمي.

وتنتهي المقامات عادة باغنية خفيفة مرحة تلحن من نفس انغامه تسمى (البستة) ومعناها كما يقول الاستاذ عبد الكريم العلاف (الربط)، وتساعد (البستة) على توفير الراحة للمغني بين مقام وآخر، كما انها تساعد على تنويع الغناء لئلا يتملك السامعين الملل. ولهذه البستات خمسة اوزان (ايقاعات) هي ميزان السنكين سماعي الذي تغنى به بستات مثل (يا زارع البزر نكوش، وعلى شواطي دجلة، وانا المسيجينه انا، وعلى روزنه الروزونه، ويا خشوف العله المجريه)، وميزان الوحدة الذي تغنى به بستات مثل (طلعت يا محلى نورها، وفدك المياس يا عمري، وبالله يا جابر)، وميزان الوحدة المقسومة الذي تغنى به بستات مثل (اشلون حالي وشلون، ويا بنت عينج عليه)، وميزان اليكرك الذي تغنى به بستات مثل (جانلدي اكحل العين، ولهلي دودوني) وميزان الجورجينه الذي تغنى به بستات مثل (كلي ياحلو، واليوم الدنيا زهت، وهذا مو انصاف منك).

وتصاحب غناء المقام موسيقى (الجالغي البغدادي) اي (جماعة الملاهي) ثم سمي (الجوق البغدادي)، وتضم آلاته (السنطور، والجوزة، والطبلة، والرق (الدف الزنجاري، والنقارة)) والغناء مع الجالغي البغدادي ليس بالامر السهل، ولا يتمكن منه كل مغن، لان العازفين يعرفون المقامات جيداً، فيعرفون متى واين خلال اداء المقام يعزفون، ومتى واين يتوقفون، ولذا يجب على من يغني بمصاحبتهم ان يتقن ذلك ايضاً، والا ضل خلال الغناء واخطأ.

وكان المقام يغنى في المقاهي الكبيرة في بغداد، وبمرور الزمن اختفى المقام من المقاهي واصبح لا يغنى فيها إلا في ليالي رمضان فقط. واخيراً توقف غناء المقام في المقاهي حتى في ليالي رمضان. وكان آخر من غنى المقام في رمضان هو المطرب رشيد القندرجي في مقهى الشابندر قرب سوق السراي سنة 1938. وكان المسرح الذي يعتليه المغني خلال تأديته للمقام يتكون من تختين (ابو الرمانة) يوضعان جنباً الى جنب وبالاضافة للمقاهي فقد كانت المقامات تؤدى في الاندية والمجالس ومناسبات الافراح وفي (الزورخانات) وهي الامكنة التي كان يمارس فيها الناس الرياضة قديماً وكانت تنتشر هذه الزورخانات في جميع المحلات الشعبية في بغداد.

ومن مشاهير مغني المقام قديماً المرحوم خليل ابراهيم الربـاز. وكان هناك مثل بغدادي مشهور يضرب على من يستحوذ بحلاوة اللسان على دراهم الغير، وهو (يقره بجيبي الرباز) وذلك لان الرباز كان لا يغني في المقاهي والمجالس والافراح إلا إذا استمر الحضور بمنحة النقود، وكان منهم من يستمر في منحه الدراهم ليستمتع بحلاوة صوته وجودة تأديته حتى تنتهي دراهمه. هذا كما اسمي لحلاوة صوته (ابو حلق الذهب). والمطرب المرحوم احمد الزيدان الذي اجاد تأدية المقام وتخرج على يديه عدد كبير من مغني المقام آنذاك، منهم المرحومون رشيد القندرجي وجميل بغدادي، وعباس الشيخلي، وقدوري العيشه. ولقد عينته دائرة الاوقاف ايام الوالي سليمان باشا المجد في جامع (منورة خاتون) الذي بنته زوجته، وكان يقع بجانب دار المعلمات الابتدائية في شارع الجمهورية. وكانت نساء المنطقة يصعدن على السطوح ليستمعن لاحمد زيدان وهو يمجد وذلك لحلاوة صوته. ولقد ازعج هذا الاعجاب ازواجهن، فشكوا احمد زيدان الى الوالي، الذي امر بان يمنع زيدان من التمجيد من على المنارة، ويكتفي بالتمجيد من على سطح الجامع، وبالفعل منع زيدان من صعود المنارة، واغلق بابها، وسد بالاخشاب والمسامير، وبقي مسدوداً حتى هدم الجامع سنة 1957. ومن المفارقات عن غناء المقام قديماً ان الموظف كان لا يسمح له بالغناء وخاصة في الاذاعة، فمثلاً بعد ان اجاد المرحوم (احمد الله رحيم) الموظف في دائرة اجراء بغداد قراءة المقام، قدم من اذاعة بغداد عدداً من الحفلات التي غنى فيها المقام، فما كان من مدير دائرته إلا ان يمنعه من الغناء لكونه موظفاً، فتوقف عن الغناء واتجه لقراءة القرآن حتى عين بعد تقاعده رئيساً لمحفل قراءة القرآن في الحضرة الكيلانية. ومن الخبراء في المقام لا مغنيه آنذاك المرحوم (جاسم محمد ابو النيص) الذي جاء جده الى بغداد من جزيرة (كريت)، وولد هو سنة 1867 في محلة (تبة الكرد) في الرصافة. ومن اشهر مغني المقام في العراق خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين المرحومون (الملا عبد الرحمن ولي، ورحمة الله شلتاغ، ومحمد جعفر النيار، وصالح ابو دميري، وابراهيم الموصلي، وحسين علي الصفو،

وحسن الشكرجي، واحمد الفياض حبيب، وابراهيم العزاوي، وسعودي مرزوك،

واحمد ابو درنكه، وقدوري القندرجي، وابراهيم العمر، وقدوري العيشه، وشكر السيد محمود، وولي العاني، ومحمود الخياط الذي كانه مصارعاً ايضاً، وعلوان العيشه، وجاسم محمد، وجميل البغدادي، وعباس الشيخلي، واحمد الموصلي، وسليمان الموصلي، ورشيد القندرجي) وغيرهم.

استوديو (ثقافة شعبية)

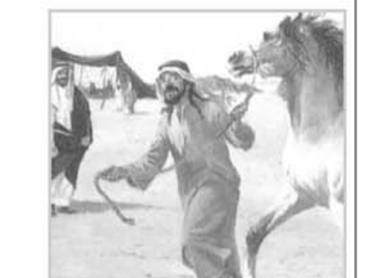
تدريب الحصان ـ العراق

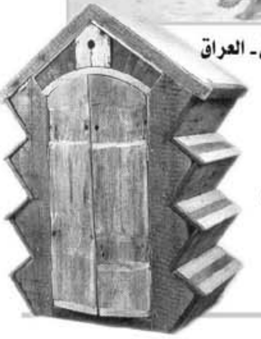
باب من البورسلين لسيفن وليتلي الولايات المتحدة الامريكية

حناء للقدم الحلوة ـ الكويت

حكاية شعبية مولدافية

الصّادق ابداً

ترجمة ـ أ. د. جليل كمال الدين

عاش في قديم الزمان، في قرية (اولتي) بمولدافيا، رجل عجوز يدعى (ايلي).

كان خيّراً، ناصحاً، حكيماً.

وكان الناس يأتونه من شتى الاماكن البعيدة في بلده، ومن البلدان الاخرى، ايضاً، طلباً لنصيحته، التي لم يكن يبخل بها على احد.

فصار الناس يلهجون بذكره، دائماً، ويسمونه (الجد ايلي). وقد اشتهر بحذقه في تشخيص مواطن آبار للمياه العذبة، وحفرها لإستخراج الماء.

وبما ان مولدافيا كثيرة السهوب، والشمس فيها شديدة الحرارة صيفاً، فإن الجفاف يلازمها، اذا تأخر المطر او قل.

ولذلك، كان الناس يقولون: "انه لسعيد ذلك الذي يجد بئراً يشرب ماءها ويغتسل به".

ولأن الناس خيّرون، لا يجحدون الافضال، فإنهم كانوا يذكرون بالخير ذلك الانسان المجهول الذي حفر البئر التي يصادفونها في الطريق.

*

قضى العجوز ايلي حياته، بحثاً عن الماء، وحفر الآبار، للناس عابري السبيل، والمسافرين، غير ان شهرته لم تقتصر على هذا، اي على مجرد عمل الخير في حفر الآبار للناس في الدروب والطرقات في السهوب. بل ان شهرته طبقت الآفاق، لسبب آخر، وهو صدقه المطلق، إذ انه لم يعرف الكذب، ولم ينطق بكلمة كاذبة قط، طوال حياته.

فأفتتن الناس بأخلاقه وصفاته، وصار لديهم مثلاً وقدوة. فكانوا يقولون عن الانسان الشريف اذا ما امتدحوه: "انه صادق كالعجوز ايلي".

ولم يجد الناس افضل من هذا في الاشادة بفضل العجوز ايلي وتبيان مناقبه. وكانوا صادقين.

بيد ان شعبية العجوز الصادق ايلي، وشهرته الواسعة في فعل الخير، لم ترق لبعض الناس، الذين لا يرتاحون للخير وفاعليه، وللصدق وقائليه..

وتميز في معاداته، وابتكار مقالب السوء له، والدس عليه، اقطاعيو المنطقة الظالمون.

فذات يوم، استلقى العجوز ايلي، في ظل احدى الاشجار، عند الطريق، ليرتاح من شدة ما لاقاه من تعب في حفر الآبار، والمشي الطويل. وحالما عرف احد الاقطاعيين بذلك، دبر له دسيسة ليوقع به، ويشوه سمعته، لنزع شهرة الصدق عنه.

وتجلت دسيسة الاقطاعي في حيلة ماكرة لجأ اليها. فقد صبغ احد اطراف قبعة سوداء بلون احمر، ثم صبغ جانب جواد ابيض بصبغ اصفر. ووضع القبعة على رأس احد فلاحيه، واجلسه على ظهر الجواد الملون.

وامر الاقطاعي هذا الفلاح قائلاً:

- عليك ان تمر بجانب ايلي، بحيث لا يرى الا النصف الاسود من القبعة، وجانب الجواد الاصفر، وانطلق بسرعة.

وانطلق الفلاح على ظهر الجواد...

وفكر الاقطاعي، متأملاً:

- اذا قال العجوز ايلي ان قبعة الفارس سوداء اللون، فلن يكون هذا صحيحاً، لأن نصفها الثاني احمر، وكذلك الامر بالنسبة للجواد، فهو ليس ابيض اللون ولا اصفر وما لبث الاقطاعي ان اقبل، بنفسه مع اصدقائه وتابعيه، على العجوز ايلي، المستلقي تحت ظل الشجرة، وسأله:

- الم ترَ فارساً بقبعة سوداء مرّ بك منذ قليل؟

فرد ايلي:

- رأيت كان نصف قبعته اسود اللون، كما بدا لي. اما طرف الحصان فكان بلون اصفر. ولا اعرف لون الطرف الآخر من الحصان، ولا لون النصف الثاني من القبعة.

فُتّ في عضد الاقطاعي وحاشيته. ولم يستطيعوا ان يسخروا من العجوز ايلي، ويشوهوا سمعته امام الناس.

*

... بعد ايام، حاول آخر، من اهل الشرّ، ان يدسّ دسيسة اخرى، لخدعة العجوز ايلي، وجعله يكذب.

البس هذا الشرير بنتاً ثياب صبي، واعطاها جرّة ماء.

كانت البنت تسير قبالة العجوز ايلي. وحين التقيا، حنت البنت رأسها، ومضت متابعةً طريقها.

وسرعان ما خرج الشرير مع صاحبه، يستطلع الخبر. وسأل العجوز ايلي:

- الم تصادف صبياً يحمل جرّة خمر؟

فأجاب ايلي:

- اجل، مرّ من هنا طفل في ثياب صبي، ولكنني لا اعرف: هل هو صبي ام بنت؟ ومن اين لي ان اعرف ماذا كان في الجرة: هل كان نبيذ ام كان ماء؟!

*

... وهكذا فشل الماكرون من اهل الظلم والشرّ في الايقاع بالعجوز الخيّر الطيب الصادق ايلي. وظل العجوز وصدقه ينتصران ابداً...